أهمية علم الأصوات في تعليم اللغة العربية للناطقين بالعربية وبغيرها

د. أميرة زبير رفاعي

مقدمة:

إن اللبنات الأساسية للغات الإنسانية هي الأصوات، وعلم الأصوات، هو العلم الذي يدرس الصوت الإنساني من وجهة النظر اللغوية[١].

وعلم الأصوات هو الحجر الأساس لأي دراسة لغوية، بل إنَّ بعضهم دعا إلى تقديم الدراسات الصوتية على الدراسة النحوية والصرفية لأية لغة؛ لكي يفهم الباحث أسرار تلك اللغة وخصائصها وظواهرها.

ولا يهتم اللغوي إلا بالأصوات التي تصدرها أعضاء النطق، ويكون لها دور في اللغة، وعلم الأصوات له آفاقه، وتطبيقاته، فلا يتحقق التحليل العلميُّ لأية لغة دون الإلمام بعلم الأصوات الذي يساعد المتعلم على التمثل الواعي لأصوات اللغة.

ويهدف البحث إلى أمرين:

١. بيان أهمية دراسة علم الأصوات في تعليم اللغة العربية للناطقين بها وبغيرها.

٢. الوقوف على أهم المشكلات الصوتية لدى متعلمي العربية من الناطقين بها وبغيرها.

ويرجع سبب اختياري هذه الدراسة إلى أن النظام الصوتي أساس من الأسس التي يعتمد عليها الناطق بالعربية، والأجنبي الذي يريد أن يلج العربية؛ ولأن دراسة الأصوات أكثر أهمية –في علم اللغة– من دراسة الكتابة نفسها؛ ولأنه يمكن ملاحظة الأخطاء الصوتية بوضوح، ومعرفة مواطن الضعف فيها.

يشتمل البحث على محورين، يسبقهما تمهيد، وتتلوهما خاتمة، تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي أسفر عنها البحث.

أما المحور الأول فيتناول أهمية علم الأصوات في دراسة إنتاج الأصوات اللغوية لدى الناطقين بالعربية وبغيرها:

١. الأصوات الصامتة Consonants

٢. الأصوات الصائتة (الحركات) Vowels

٣. المقاطع الصوتية Syllables

والمحور الثاني يبرز أهمية علم الأصوات في دراسة:

---

١ علم الصوتيات، د. عبد العزيز أحمد علام، ود. عبد الله ربيع محمود، ص ١٩.

١. الظواهر التركيبية (المماثلة Assimilation)

٢. الظواهر الأدائية:

أ- النبر Stress

ب- التنغيم Intonation

وقد سلك البحث منهجًا وصفيًّا، فقدّم التوصيف الصوتي للنظام الصوتي في العربية، واتبع المنهج نفسه في توصيف المشكلات الصوتية لدى متعلمي العربية من أبنائها الناطقين بها، ومن غير الناطقين بها.

التمهيد: مقدمة في علم الأصوات اللغوية، والأصوات العربية:

١ – تعريف الصوت اللغوي:

الصوت اللغوي: هو أثرٌ سمعيٌّ يصدر طواعيةً واختيارًا عن تلك الأعضاء المسمّاة تجوزًا أعضاء النطق، والملاحظ أن هذا الأثر يظهر طواعيةً واختيارًا عن تلك الأعضاء المسمّاة تجوزًا أعضاء النطق، والملاحظ أن هذا الأثر يظهر في صورة ذبذبات مُعَدَّلة وموائمة لما يصاحبها من حركات الفم بأعضائه المختلفة[١].

والأصوات هي التي تشكّل اللغة، و"اللغة سلسلة من الأصوات المتتابعة في وحدات أكبر حتى تصل إلى المجموعة النفسية"[٢].

وقد حدّدَ ابن جنّي اللغة بأنها "أصواتٌ يُعَبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن مقاصدهم"[٣].

٢ – فروع علم الأصوات:

أ- علم الأصوات النطقي والفسيولوجي:

Articulatory or Physiological Phonetics

ويدرس أعضاء آلة النطق، وحركات تلك الأعضاء من أجل إنتاج أصوات الكلام، ومخارج الأصوات ، وصفاتها.

ب- علم الأصوات الفيزيائي أو الأكوستيكي:

Acoustic or Physical Phonetics

ويدرس التركيب الطبيعي للأصوات، فهو يحلل الذبذبات، والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء.

---

١ علم اللغة العام – الأصوات، كمال بشر، ص ٦٤.
٢ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص ٣٤٧.
٣ الخصائص، ابن جني، ج١، ص ٣٣.

ت- علم الأصوات السمعي:

Auditory Phonetics

ويعدّ أحدث فروع علم الأصوات اللغوية، ويهتمّ بالموجات الصوتية منذ وصولها إلى الأذن، حتى إدراكها في الدماغ، ولهذه العملية جانبان: جانب عضوي، وجانب نفسي.

٣ – الأصوات الصامتة، والصائتة:

تقسم الأصوات قسمين رئيسين:

أ- الأصوات الصامتة: Consonants

وتسمى بالحروف عند علماء العربية القدامى، وتقسم الأصوات الصامتة ثلاثة تقسيمات باعتبارات ثلاثة، هي[١]:

- ✓ وضع الوترين الصوتيين.
- ✓ المخارج والأحياز.
- ✓ كيفية مرور الهواء عند النطق بالصوت المعين .

التقسيم الأول: وضع الوترين الصوتيين.

- ✓ الأصوات المهموسة Voiceless

وهي التي لا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق بها، وعددها اثنا عشر صوتًا، هي: (ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ).

- ✓ الأصوات المجهورة Voiced

وهي الأصوات التي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق بها، وعددها خمسة عشر صوتًا، هي: (ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، ع، غ، ل، م، ن، والواو في نحو (ولد، وحوض)، والياء في نحو (يترك، بيت)).

- ✓ صوت ليس بالمهموس ولا بالمجهور، وهو صوت الهمزة.

التقسيم الثاني من حيث المخارج والأحياز.

ويمكن تقسيم الأصوات العربية الصامتة حسب مواضع النطق المختلفة:

١. أصوات شفوية، وهي: الباء، والميم.

٢. أسنانية شفوية، وهي: الفاء.

---

١ علم الأصوات، كمال بشر، ص ١٧٣ – ٢١٤.

٣. بين أسنانية، وهي: الثاء، والذال، والظاء.

٤. أسنانية لثوية، وهي: التاء، والدال، والضاد، والطاء، واللام، والنون.

٥. لثوية، وهي: الراء، والزاي، والسين، والصاد.

٦. لثوية حنكية، وهي: الجيم (الفصيحة)، والشين.

٧. وسط الحنك، وهي: الياء.

٨. أقصى الحنك، وهي: الخاء، والغين، والكاف، والواو.

٩. لهوية ، وهي: القاف (الفصيحة).

١٠. حلقية، وهي: العين ، والحاء.

١١. حنجرية، وهي: الهمزة ، والهاء.

التقسيم الثالث من حيث كيفية مرور الهواء.

١. الوقفات الانفجارية: Plosive stops

وتسمى الصوامت المغلقة، وهي التي يغلق الممر في إنتاجها غلقًا محكمًا، بحيث لا يسمح للهواء بالمرور، ثم يعقب ذلك فتح فجائي أو انفجار في مرور الهواء، ويصفها القدماء بالشدة، وهي: (الهمزة، والجيم القاهرية، والدال، والقاف، والكاف، والطاء، والباء، والتاء، والضاد الحديثة[١].

٢. الوقفات الاحتكاكية: Fricative

وتسمى بالصوامت المركبة (الغلقية الاحتكاكية) Compound Consonant ولا تعرف العربية من هذا الصوت إلا (الجيم الفصحى)[٢].

٣. الأصوات الممتدة أو المفتوحة: Open

وهي التي لا يُغلق الممر أثناء إنتاجها، وتقسم إلى ما يأتي:

- ✓ الأصوات الاحتكاكية Fricatives

وهي التي تنشأ بتضييق الممر، مع استمرار خروج الهواء، محدثًا حفيفًا، يُسمى بالاحتكاك، وهي: الثاء، والحاء، والخاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والظاء، والعين، والغين، والواو، والياء.

- ✓ الصوامت الجانبية Lateral

---

١ علم الصوتيات، د. عبد العزيز علام، ود. عبد الله ربيع محمود، ص ٢٦٥.
٢ المرجع نفسه، ص ٢٦٧.

وهي الأصوات التي يغلق أثناء إنتاجها وسط الممر مع السماح للهواء بالخروج من جانبيه ، واللام العربية من هذا الصنف.

- ✓ الصوامت التكررية أو الترددية Rolled

وهي التي يتكرر غلق الممر وفتحه، فينتج الهواء متقطعًا، على نحو ما نحسّ به.عند خروج صوت الراء.

- ✓ الصوامت الأنفية Nasal

وهي التي يتم إنتاجها بغلق الممر الفمّي، وفتح الممر الأنفي، فيخرج من هذا الأخير مثل: صوت النون والميم[١].

المحور الأول: أهمية علم الأصوات اللغوية لدى الناطقين بالعربية وبغيرها.

١.الأصوات الصامتة Consonants

أ. عند الناطقين بالعربية:

تظهر أهمية علم الأصوات اللغوية في المجال التطبيقي من خلال تعليم اللغة القومية، وأعني بها هنا اللغة العربية. فالدراسات الصوتية وسيلة من وسائل تعليم اللغة العربية تعليمًا سليمًا، وسبيلٌ من سبل رقيها والمحافظة عليها. فالمتعلمون في المراحل الأولى معرضون للخطأ في نطق هذه اللغة، لاسيما أنهم يأتون من مناطق مختلفة، وينتمون إلى بيئات اجتماعية غير متجانسة، ولكل واحد منهم عاداته النطقية تتمثل في لهجته الخاصة.

ولعلّ هذه العادات تظهر في نطق اللغة الفصحى في المجتمع العربي، فإذا ما أرشد هؤلاء المتعلمون إلى النطق الصحيح لأصوات لغتهم، سهل عليهم إجادة نطقها، وحسن أدائها. وبذلك نكون قد ظفرنا بأمرين مهمين:

أولهما: التقريب بين عادة النطق المحلية المختلفة وتذويب الفروق الطفيفة بينها.

ثانيهما: تخليص اللغة الفصحى من الآثار الصوتية ذات الطابع المحلي، وتكوين لغة قومية مشتركة تصلح للتفاهم بين أبناء الأمة الواحدة.

ولعلنا نستطيع أن نضرب أمثلة لتلك العادات النطقية في اللهجات العربية، التي تختلف عنها في اللغة الفصحى، ويظهر ذلك في صور منها:

الصورة الأولى: اختلاف مخارج الأصوات، أو في صفاتها، أو فيهما معًا، فهناك أربع صور نطقية للقاف في القديم والحديث، هي:

---

١ المرجع نفسه، ص ٢٦٦ – ٢٦٧.

- ✓ القاف صوت لهوي وقفة انفجارية مهموس (q)
- ✓ القاف صوت حنكي قصي وقفة انفجارية مجهور (g)
- ✓ القاف صوت حنجري، وقفة انفجارية (همزة) (ʔ)
- ✓ القاف صوت حنكي قصي احتكاكي مجهور (غين) (ɣ)

والصورة الأولى هي القاف الفصيحة ، والصورة الثانية هي السائدة في معظم اللهجات العربية في البلاد العربية، ونطق القاف همزة مقصور على بعض العواصم والمدن العربية، والنطق بالغين مقصور على مفردات معينة في لهجات معينة من الوطن العربي[١].

الصورة الثانية: الاختلاف في الأصوات مع المحافظة على المخارج، كالميل إلى ترقيق أصوات التفخيم، أو أصوات الإطباق (الصاد، والضاد ، والطاء ، والظاء).

الصورة الثالثة: إسقاط بعض الأصوات نهائيًا ، والاستعاضة عنها بأصوات أخرى، كإسقاط الثاء في بعض اللهجات العربية، والاستغناء عنها بالتاء، كما في نحو (تُوب to:b) في (ثوب θ o:b)

أو إبدالها سينًا، كما في نحو: (أساس ʔ a-s a :s) (أثاث ʔ a- θ a: θ)

الصورة الرابعة: الاختلاف في مخرج بعض الأصوات مع الاحتفاظ بالصفات، ويلاحظ ذلك في الظاء العامية، التي تنطق من مخرج الزاي، مع بقاء الصفة الخاصة بالظاء الفصيحة، وهي التفخيم بينما الظاء الأخيرة، مخرجها من بين الأسنان. كما نجد بعضهم ينطقون الضاد ظاء، في مثل: (ظابط ẓ ɑ:-be t) في (ضابط ḍ ɑ:-be ṭ)

ب- عند الناطقين بغير العربية:

ثمة مشكلات لغوية متعددة تواجه دارس اللغة العربية من غير أبنائها، ومن المشكلات التي تواجه الدارسين المبتدئين للغة العربية مشكلة نطق بعض الأصوات الخاصة باللغة العربية، ويأتي في مقدمتها: صوت الضاد، وتداخلها مع الدال، والسين وتداخلها مع الصاد ، والهاء وتداخلها مع الحاء، والحاء نفسها وتداخلها مع الخاء، وكذلك الطاء والتاء، والقاف والكاف، والزاي والظاء، والعين والغين[٢].

ويرى بعض الباحثين، ومنهم الدكتور عبده الراجحي أن وقوع المتعلم الأجنبي في هذه الأخطاء يعود إلى أربعة أسباب[٣]:

- ✓ اختلاف اللغتين في مخارج الأصوات.

---

١ علم الأصوات، ص ٢٨٥ – ٢٨٦.

٢ المشكلات الصوتية في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، د. دكوري ماسيري، وأ. سمية دفع الله الأمين، ص ٥.

٣ ينظر: النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي، ص ١١٦، ومشكلات تعليم الأصوات للناطقين بغيرها، ص ٣٥٢ – ٣٦٤.

- ✓ اختلاف اللغتين في التجمعات الصوتية.
- ✓ اختلاف اللغتين في مواضع النبر والتنغيم والإيقاع.
- ✓ اختلاف اللغتين في العادات النطقية.

وتشير الدراسات إلى أن الأصوات التي يصعب نطقها على متعلم اللغة العربية من الناطقين بغيرها، في جامعة المدينة العالمية بماليزيا، جاءت على الترتيب الآتي:

- ✓ إن نسبة مَن يعانون من صعوبة نطق الأصوات الحلقية (العين والحاء) بلغت ٩٠ %.
- ✓ وبلغت نسبة الذين يعانون من صعوبة نطق الأصوات الحنجرية (الهاء والهمزة) ٨٠ %.
- ✓ ونسبة من يعانون من نطق الأصوات الطبقية (الخاء والغين) بلغت ٧٠ %.
- ✓ وجاءت نسبة الأفراد الذين يجدون صعوبة في نطق الأصوات المطبقة (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء) ٦٠ %.

وهنا تبرز أهمية الثنائيات الصغرى[١] (أزواج الكلمات المتشابهة) في تعليم الأصوات العربية لغير الناطقين بها. مثل:

س، ص: سيف، صيف

ت، ط: تين، طين

د، ض: ودعَ، وضعَ

ك، ق: كلب، قلب

الهمزة، ع: أمل، عمل

خ، ك: خليل، كليل

ويبنى اختيار الثنائيات على أسس، فلابد أن يكون الفرق بين الكلمتين فرقًا في الوحدة الصوتية التي تؤدي إلى تغير المعنى.

كما أنه لابد أن يتوافر فيها شرطان على الأقل في المتعلم:

أولهما: قدرة المتعلم على النطق الصحيح لعنصري الثنائية.

ثانيهما: قدرته على التمييز بين صوتي الثنائية عند سماعهما في الكلام[٢].

---

١ الثنائيات الصغرى هي كلمتان متشابهتان نطقًا إلا في صوت واحد، في موقع واحد، مما يؤدي إلى اختلافهما في المعنى. انظر، أساليب تدريس اللغة العربية، محمد الخولي، ص ٥١.

٢ الأصوات العربية وتعليمها لغير الناطقين بها، إعداد عبد اللطيف محمد شاكر القاطوع، رسالة ماجستير في اللغة العربية بالجامعة الأردنية، ١٩٩٩م، ص ٢٦– ٢٧.

وتبرز فائدة الثنائيات الصغرى في تدريب المتعلم على التمييز بين الأصوات المتقابلة، والتي تمكنه من التركيز على الفرق بين الصوتين في كل ثنائية وقت الاستماع والنطق، وكذلك إدراك الفرق بين الصوتين في المعنى.

ويمكننا أن نستخدم الصور بنوعيها الثابتة والمتحركة بوصفها اتصالًا بصريًّا يؤدي دورًا مهمًا في تعليم اللغة.

فهي تزود الدارس بشيء محسوس لإثارة تفكيره، وتجعل استجابته اللفظية للمواقف التعليمية ذات معنى ومغزًى، كما أنها توفر الوقت في التدريس[١].

٢. الأصوات الصائتة Vowels

أ. عند الناطقين بالعربية:

الصائت هو الصوت المجهور الذي يمرّ الهواء في أثناء النطق به من الرئتين، وحتى خروجه من الفم حرًّا طليقًا دون عائق أو تضييق في مجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا[٢].

وتنقسم الصوائت في العربية من حيث كميتها إلى: قصيرة، وطويلة. والحركات القصيرة ثلاث هي: الفتحة والضمة والكسرة. والحركات الطويلة ثلاث من حيث كمّيتها، وقد سمّاها ابن جنّي في قوله:"فكما أنه هذه الحروف ثلاثة، وكذلك الحركات ثلاث، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو"[٣].

واستطاع علماء الأصوات المحدثون أن يكتشفوا الأسس التي يقوم عليها نطق هذه الأصوات والتي تقوم على ثلاثة أمور:

الأول: الجزء الذي يتغير من اللسان مع كل صائت، فقد يكون أماميا، أو خلفيًّا.

الثاني: مقدار ارتفاع ذلك الجزء باتجاه الحنك الأعلى.

الثالث: وضع الشفتين مع كل صائت.

ويعدّ العالم الانجليزي (دانيال جونز) مبتكر ما يعرف بالحركات المعيارية Cardinal Vowels.

وهي في العربية ثماني حركات معيارية، يمكن توضيحها على هذا النحو[٤]:

---

١ المرجع نفسه، ص ٣١ – ٣٢.

٢ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢٦، مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، ص ٨٨، الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية، غالب فاضل مطلبي، ص ٢٤، الأصوات اللغوية، محمد الخولي، ص ٥٠.

٣ سر صناعة الإعراب، ابن جنّي، ج١، ص ١٧.

٤د. غانم قدوري الحمد، ص ٩٠ – ٩١.

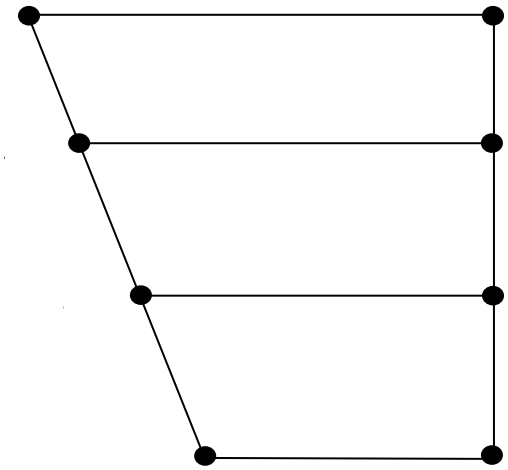

- ✓وتوصف الحركة رقم (١) بأنها أمامية ضيقة، وهي تشبه الكسرة الضيقة المتوترة في العربية.
- ✓وتوصف الحركة رقم (٨) بأنها خلفية ضيقة، وهي تشبه الضمة في العربية.
- ✓وتوصف الحركة رقم (٤) بأنها أمامية واسعة، وهي الفتحة المرققة في نحو: (كَتَبَ).
- ✓وتوصف الحركة رقم (٥) بأنها خلفية واسعة، وهي تشبه الفتحة المفخمة في نحو: (صَرَطَ).
- ✓وتمثل الحركتان (٣،٢) الصوت الناتج عن إمالة الفتحة نحو الكسرة، والألف نحو الياء، والحركة (٢) تقابل الإمالة الكبرى، ورقم (٣) تمثل الإمالة الصغرى.
- ✓وتمثل الحركتان (٧،٦) صوت الألف المفخمة، وهما تقتربان من النطق بالواو في كلمة (يُوم) في العامية.

لا شك في أن النظر في أنواع الإمالة عند علماء القراءات في ضوء الحركات المعيارية يكشف عن دقة علماء العربية والقراءة حين عالجوا هذه الظاهرة، "وعلى ذلك يكون ما أسموه بالإمالة الصغرى (أو المتوسطة) قريبًا مما نسمّيه نحن الآن –في علم الأصوات– بالحركة المعيارية الأساسية الثالثة، ويكون ما سمّوه بالإمالة الكبرى (أو الشديدة) قريبًا مما نسمّيه الآن بالحركة المعيارية الثانية"[١].

ونحن نلاحظ أنه في العاميات اليوم حركتان لا وجود لها في العربية الفصحى المعاصرة، وهاتان الحركتان تظهران في مثل: يُوم، وبِيت العاميتين في (يَوْم وبَيْت).

ب– عند الناطقين بغير العربية.

يصعب على الدارسين من غير العرب التمييز بين الحركات الطويلة والقصيرة، وهم بمعرفتهم للحركات المعيارية، يستطيعون أن يتعرفوا على طول الحركات، وحروف المد، وما تستغرقه من زمن، بقياسه بأجزاء الثانية على نحو دقيق.

---

١ القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، سمير شريف إستيتية، ص ٢٢٣.

٣. المقاطع الصوتية Syllables

أ. عند الناطقين بالعربية:

المقطع الصوتي هو أحد الوحدات الأساسية في التركيب الصوتي، وقد يسهل تمييز المقطع بين أبناء اللغة، ولكن الصعوبة تكمن في تحديد بدايته ونهايته.

ويُعرَّف المقطع بأنه "تتابع من الأصوات الكلامية، له حدٌّ أعلى، أو قمة إسماع طبقية تقع بين حدين أدنيين من الإسماع، وهو أصغر وحدة في تركيب الكلمة"[١].

ومن يركز على الناحية الفسيولوجية، عرّفه بأنه "نبضة صدرية، أو نفخة من هواء الصدر"[٢].

يشتمل النظام المقطعي في لغتنا العربية على الصور الآتية:

١. المقطع القصير المفتوح، ويتكون من صامت + حركة قصيرة، مثل: الكاف من كَتَب، ويرمز له بالرمز ص ح. وهو الأكثر انتشارًا في اللغة العربية، فهو يوجد بحرية في بداية الكلمة، وفي منتصفها، وفي آخرها.

٢. المقطع المتوسط المغلق، ويتكون من صامت + حركة قصيرة + صامت، ورمزه: ص ح ص، مثل: (كا) من كاتب.

٣. المقطع المتوسط المفتوح، ويتكون من صامت + حركة طويلة، ويرمز له بالرمز ص ح ح. وهذا النوع من المقاطع واسع الانتشار في اللغة العربية، ولا توجد قيود على توزيعه، فيأتي في بداية الكلمة، وفي وسطها، وفي آخرها، مثل: (لَمْ ، مِنْ).

٤. المقطع الطويل، ويتكون من صامت + حركة طويلة + صامت، ورمزه ص ح ح ص. مثل: (بَابْ) بالوقف عليها. ويمكن وجوده في بداية الكلمة، ووسطها، وآخرها.

٥. المقطع الطويل، ويتكون من صامت + حركة قصيرة + صامتان، في حال الوقف، ويرمز له بالرمز ص ح ص ص. مثل: (بَابْ).

٦. المقطع الطويل المغرق في الطول، المتكون من صامت + حركة طويلة + صامت، ورمزها: ص+ح ح ص ص. مثل: (ضارٌّ) بالوقف عليها.

ويعدّ المقطع حجر الأساس في عِلميْ العروض والأصوات.

---

١ دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص ٢٤١.
٢ المرجع نفسه، ص ٢٤٢.

= ففي مجال الأصوات، يعد المقطع هو مجال العمل للظواهر الأدائية: النبر، والإطالة ذات المعنى، وصعود درجات الصوت وهبوطها، وعادة ما يتطابق التعبير الملحوظ في منحنى درجة الصوت مع حدود المقطع[١].

ودراسة المقطع ضروريَّةٌ لتفسير بعض القواعد الصوتية في اللغة ، فعلى سبيل المثال يتم تكوين صيغة الأمر من الفعل الثلاثي باستخدام النمط: صامت + صامت + صائت قصير + صامت.

وفي ضوء ذلك نجد أن صيغة الأمر من الفعل (كَتَبَ) هو (كْتُبْ). ولما كانت الكلمات في العربية لا تبدأ بساكن ، تم إدخال الصائت القصير قبل الصامت الأول، ونظرًا لأن الكلمات في العربية لا تبدأ بصائت، أدخلت الهمزة قبل الصائت، وبذلك يتم تحويل الصيغة (كْتُبْ) إلى (اُكْتُبْ).

– وفي مجال العروض، يعد المقطع من المقاييس العروضية في اللغات التي تقوم على أساس المقطع، كما أن بعض طرق الكتابة وضعت على أساس مقطعي[٢].

ففي الأبيات الشعرية يتم تقطيعها أولًا إلى مقاطع، ويتم التمييز بين المقاطع القصيرة، والمقاطع الطويلة، ومن ثم يتم تجميع هذه المقاطع في وحدات أكبر تُسمَّى تفعيلات، وأخيرًا تشكّل هذه التفعيلات ما يُسمَّى بالبحر، مثل البحر الطويل، أو البسيط، أو الوافر، وغيرها بناءً على أسس إيقاعية معينة.

فإذا نظرنا في التراث الشعري نجد أن بعض الشعراء العرب ، كالبحتري استطاع أن يستغلّ الترتيب المقطعي في شعره، ليبرهن على متانة أسلوبه، فاختار المقطع المناسب للمقام الملائم.

لاحظ قوله في سينيّته الشهيرة:[٣]

صُنْتُ نفسي عمَّا يُدَنِّسُ نفسي وتَرَفَّعتُ عن جَدَا كُلِّ جِبْسِ

صوّرت المقاطع المتوسطة المغلقة (صُنْ، نَفْ، عَمْ، دَنْ، نَفْ، رَفْ، عَنْ، كُلْ، جِبْ) حالة المرارة التي عاشها البحتري وهو يرثي إيوان كِسرى، فتضمنت هذه المقاطع معاني الحسرة والألم حتى بلغت درجة التوتر ذروتها، وهو الأمر الذي أسعف الشاعر على الضغط على مقاطع منبورة تتجلى في الصوائت الطويلة، جاءت تنبئ عن تأوّهات صادرة عن نفس متألمة مختبئة، فخرجت من الأعماق، وذلك في (سِي، مَا، سِي، دَا، سِي).

بينما جاءت المقاطع القصيرة لتقوم بدور الاسترخاء وتجديد الإيقاع بنفس شعري طويل، وذلك في (تُ، يُـ، نِ، سُ، وَ، تَ، تُ، جَـ، لِ) . جاء كل ذلك انسجام موسيقى المقاطع الصوتية بموسيقى بحر الخفيف الذي يعدّ أخفّ البحور على الطبع، وأطلاها للسمع[٤].

---

١ دراسة الصوت اللغوي، ص ٢٣٨.
٢ دراسة الصوت اللغوي، ص ٢٣٩.
٣ ديوان البحتري ، ج١ ، ص ١٩٠ .
٤ سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة، جورج غريب، ص ٣٥.

ب- عند الناطقين بغير العربية.

إن المقطع هو الأساس لاكتساب طريقة النطق المطابقة لنطق أصحاب اللغة، فأحسن طريقة لاعتبار النطق الصحيح للنغمات الصوتية، وللوقفات الموجودة في كل لغة أجنبية هي نطق الكلمات أو مجموعة الكلمات ببطء، مقطعًا مَقطعًا مع الوقفات الصحيحة بين كل مقطع ومقطع[١].

كما أن دراسة المقطع هي طريقة تعليمية من طرق تعليم الأجانب اللغة العربية، عن طريق الإتيان بجمل وظيفية ذات دلالة، وفيها تحلل الكلمات إلى مقاطع، والمقاطع إلى أصوات، وفي الوقت نفسه نقوم بتدريب المتعلم على التركيب، تركيب الأصوات في المقاطع والكلمات[٢].

المحور الثاني: أهمية علم الأصوات في دراسة الظواهر التركيبية والأدائية

أولًا: أهمية علم الأصوات في دراسة الظواهر التركيبية (المماثلة).

المماثلة ظاهرة صوتية يحتار المتعلم للعربية من غير الناطق بها في التدرُّب عليها، كما يحتار متعلم العربية من اللغة ذاتها.

ومن الحقائق العلمية والقوانين الصوتية التي أدركها علماء العربية القدامى، وأكدتها الدراسات الصوتية الحديثة أن الأصوات إذا تجاورت في سياق الكلام يؤثر بعضها في بعض، وتتوقف درجة التأثر على العلاقة بين الصوتين المتجاورين، فكلما تدانت الأصوات في المخارج، وتقاربت في الصفات ازداد ذلك التأثر، ليتم الانسجام بين أصوات اللغة، والاقتصاد في الجهد العضلي[٣].

- المماثلة عند الأقدمين.

عُني علماء العربية بهذه الظاهرة، ودرسوها تحت تسميات عديدة، فسمّاها سيبويه حينًا بالمضارعة (باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه)[٤]، وبالتقريب حينًا آخر، ثم تناولها في بابٍ آخر هو الإدغام، وجعله خاتمة مباحثه اللغوية التي احتواها هذا الكتاب.

وتبع ابن جني سيبويه فأطلق على هذه الظاهرة مصطلح "التقريب" أو "التقارب" و"المضارعة"[٥]، كما أطلق عليها مصطلحًا آخر، هو "التجنيس"[٦].

---

١ دارسة الصوت اللغوي، ص ١٦٢.
٢ الأصوات العربية وتعليمها لغير الناطقين بها، ص ٣٩.
٣ الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ١٧٩، دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، ص ٣٧٨.
٤ الكتاب، لسيبويه، ج٤، ص ٤٧٧.
٥ الخصائص، لابن جني، ج٢، ص ١٣٩، سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج١، ص ٥١، ج٢، ص ٨١٦.
٦ المنصف، لابن جني، ج٢، ص ٣٢٤ – ٣٢٥.

ثم جاء المحدثون، وتناولوا هم الآخرون هذه الظاهرة، عرفوها، وبينوا أنواع التأثر، ودرجاته، وصوره، واصطلحوا على تسميتها بالمماثلة، ولعلّ الدكتور إبراهيم أنيس هو أول من تناول من اللغويين المحدثين دراسة هذه الظاهرة دراسة علمية.

– المماثلة عند المحدثين.

قسّم علماء اللغة المحدثون المماثلة من حيث اتجاه التأثر إلى نوعين[1]:

١. مماثلة تقدمية (Progressive Assimilation)، وفيه يؤثر الصوت الأول في الثاني، وهذا النوع يكثر شيوعه في اللغة العربية.

ومن أمثلته: تأثر تاء افتعل في "ازتهر" بصوت الزاي مما يؤدي إلى تحوله إلى الدال، فتصبح "ازدهر".

٢. مماثلة رجعية (Regressive Assimilation)، وفيه يؤثر الصوت الثاني في الأول.

ومن أمثلته: تأثر التاء في "يتطهر" بصوت الطاء مما يؤدي إلى تحوله إلى الطاء، فتصبح "يطّهر".

وقسّموها من حيث مدى التجاور بين الأصوات المتجاورة إلى نوعين:

١. مماثلة تجاورية (Contact Assimilation)، وفيها يكون الصوتان متجاورين، دون أن يفصلهما صوتٌ ثالث، نحو: ازتهر ـــــــ ازدهر.

٢. مماثلة تباعدية (Distant Assimilation)، نحو: يتطهر، حيث فصلت فتحة التاء بين التاء والطاء.

كما قسّموها من حيث درجتها إلى نوعين:

١. مماثلة تامة (Complete Assimilation)، وفيها يتعدل صوت؛ ليماثل آخر مماثلة كاملة، إلى أن يصل في درجته النهائية إلى فناء أحد الصوتين في الآخر، نحو: يتدارك ـــ يددارك ـــ يدّارك، حيث أثرت التاء بالدال، فتحولت التاء دالًا ساكنة، وأدغمت.

٢. مماثلة جزئية (Partial Assimilation)، وفيها يتعدل صوت جزئيًا؛ ليماثل صوتًا آخر، فالتأثر يقتصر على مجرد التحول من صفة إلى أخرى، أو من مخرج إلى آخر، نحو: السِّراط ـــ الصِّراط أو الزِّراط.

ومن هنا نرى أن موضوع المماثلة هو أبرز ما يقدمه الدرس الصوتي الحديث في تناول معظم موضوعات علم التجويد، يُسهم في توضيح الأفكار، أو ييسر فهم الموضوعات، مثل: الإدغام، فالصلة قوية بين المماثلة والإدغام لاجتماعهما في حالة التماثل الكلي أو التام.

وأيضًا ظاهرة الإخفاء في النون الساكنة والميم الساكنة، والإقلاب.

---

١ الأصوات اللغوية، ص ١٧٩، في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ص ٧٠.

ولا يقتصر التأثر والتأثير بين الأصوات الصامتة، بل يتعداها إلى المماثلة بين الحركات، مثل:

– الإمالة: فهي ظاهرة صوتية تهدف إلى تقريب بعض الحركات من بعض، وهي وسيلة من وسائل تيسير النطق، وبذل أقل جهد عضلي، حيث تمال الألف نحو الياء، أو الفتحة نحو الكسرة.

وهناك أنواع أخرى ، تحدَّث فيها المحدثون دون الإشارة إلى أنها مماثلة صوتية ، مثل: بعض أنواع الإتباع، أو الإعلال، أو القلب.

وبهذا نصل إلى أن المماثلة ظاهرة قياسية تحدث باطّراد لتسهيل عملية النطق ، وأنها تحدث في الصوامت والصوائت على السواء.

والمماثلة وإن كانت من جماليات اللغة العربية؛ لأنها تساعد على تناسق الكلمة، بحيث يسهل على المتكلم النطق بأحرف العربية، لكنها قد تكون حجرة عثرة أمام المتعلمين من الناطقين بغيرها، إذ قد يخطئون في نطق بعض الأصوات نطقًا صحيحًا عندما تتأثر بالمجاورة ، كتماثل الأصوات غير المطبقة ، مثل: (صَطْح) في (سَطْح)، أو العكس ، نحو: (سُلْتان) في (سلطان).

وهنا ينبغي لمعلم اللغة العربية لغير أبنائها أن يتنبّه إلى ذلك، ويعلّمهم النطق الصحيح لأصوات اللغة العربية .

ثانيًا: أهمية علم الأصوات في دراسة الظواهر الأدائية.

١. النبر Stress

أ. عند الناطقين بالعربية:

يُراد بالنبر: أنّ مقطعًا من بين مقاطع متتابعة يُعطي مزيدًا من الضغط أو العلو، ويلاحظ مع الصوت المنبور نشاطٌ في أعضاء النطق، كأقصى الحنك واللسان والشفتين[١].

قواعد النبر في الفصحى[٢]:

- ✓ يقع النبر على المقطع الأخير من الكلمة إذا كان طويلًا كما في نستعين: nas – ta - ʔ 'e : n
- ✓ إذا لم يكن المقطع الأخير طويلًا، فإن النبر يقع على المقطع الثاني من الآخر، إذا كان متوسطًا، مثل:
- ✓ كَتَبْتُمْ Ka – ta'b – tom
- ✓ يقع النبر على المقطع الثالث من الآخر، إذا لم يكن الأخير طويلًا، وكان المقطع الثاني من الآخر قصيرًا، مسبوقًا بمقطع متوسط، أو قصير، مثل: اِسْتَفْهَمَ ʔes – ta'f – ha – ma

---

١ الأصوات اللغوية، ص ١٦٩ – ١٧٠.

٢ انظر تلك القواعد في "عن النبر في نطق العربية الفصحى بالعالم العربي المعاصر"، د. عبد الله ربيع محمود، ص ٤٢٣ – ٤٢٤.

- ✓ يقع النبر على المقطع الرابع من آخر الكلمة، إذا لم يكن آخر مقطع طويلًا، وكانت المقاطع الثلاثة التي تسبقه قصيرة، مثل: شَجَرَةٌ ʃ a' – Ja – r ɑ – ton

وللنبر وظائف كثيرة في بناء اللغة، وتركيبها النحوي، والصوتي، والعروضي، والبلاغي، فضلًا عن دوره في أداء الكلام، وتأثيره في نفس السامع، وتعبيره عن عواطف المتكلم وانفعالاته[١].

ولعلّ الدارسين للغة العربية من العرب وغيرهم يدركون صورًا من وظائف النبر في بعض المستويات اللغوية، مثل:

المستوى الفونولوجي: يقوم النبر بالتفريق بين الكلمات المتشابهة في كلّ شيء إلا في النبر، فكلمة (أَرَق) اسم على (فَعَل)، يكون النبر المقطع الأول ʔa' – r ɑ q، ولكن إذا نبرنا على المقطع الأخير ʔa - r ɑ' q أصبحت اسم تفضيل على وزن (أَفْعَلْ)[٢].

المستوى النحوي: يقوم النبر بوظيفة الربط بين أجزاء الجملة، أو المنطوق والإشارة إلى نوع الجملة (استفهام، أمر، إخبار، ...إلخ)، إلى جانب قيامه بتحديد أجزاء المنطوق.

فلو قارنّا بين الصورتين النطقيتين:

الأولى: (مَاذَا) بالنبر على كلٍّ من الكلمتين (مَا : ma') و(ذَا: ðа').

والثانية: بالنبر على (ما) فقط: : ma'، ألا نحسّ أن الأولى تكونت من مبتدأ وخبر، على حين أن الثانية ليست سوى أداة استفهام[٣].

٢. التنغيم Intonation

ب.عند الناطقين بالعربية:

ويطلق على ارتفاع نغمة الصوت وانخفاضها، وتلوّنها بوجوه مختلفة أثناء النطق على مستوى الجملة؛ للدلالة على معانٍ مقصودة، مثل: الاستفهام، والطلب، والأمر، والغضب، والفرح، والدهشة، والتعجب، ...إلخ.

والتنغيم يكون صاعدًا، أو هابطًا، أو مستويًا. فالجمل الإخبارية تكون بنغمة هابطة، وجمل الاستفهام والغضب والتعجب تؤدى بنغمة صاعدة[٤].

---

١ علم الصوتيات، ص ٣٣٤.
٢ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .
٣ المرجع نفسه، ص ٣٣٥.
٤ المرجع نفسه ، ص ٣٢٢.

وهناك فنٌّ بديع، اسمه فنُّ تشكيل الأصوات، فيه متعة للمتحدث والمستمع، ولابد من فهم المعاني والأفكار، والإحساس بما فيها من غايات؛ لأن ذلك يساعد على تشكيل الأصوات حسب المقام والغرض، ويساعد على الإلقاء المتميز[١].

فالمتكلم له دوره في تحديد معنى الجمل بوضعها في إطارٍ صوتي يفرّق بين الجمل، كالخبرية والاستفهامية. فقد تكون الجملة استفهامية دون أن تحوي أداة استفهام.

وقد تتمثل بقول عمر بن أبي ربيعة:

ثمّ قالوا: تحبّها ، قلتُ بَهْرًا عَدَدَ الرَّملِ والحصَى والتُّرابِ[٢]

فهنا في قوله: (تحبّها) استُغني عن همزة الاستفهام، وتحوَّلوا على لفظها بنغمة الاستفهام.

كما يساعد التنغيم على التوزيع التحليلي للنص الواحد، بحيث يمكن مع تنغيم معين أن يكون النص كله جملة واحدة، ومع تنغيم آخر يكون أكثر من جملة، ومن ذلك قول عمر بن أبي ربيعة السابق عند سؤاله عن محبته لمحبوبته :

ثمّ قالوا: تحبّها ، قلتُ بَهْرًا عَدَدَ الرَّملِ والحصَى والتُّرابِ

جملة (تحبّها) يمكن أن تُقرأ على غير وجه، فهي تكون للاستفهام، وهو أقواها، وقد تكون للتقرير، وهو ضعيف، وقد تكون للاستغراب والتعجب، وهو أضعف الحالات[٣].

وعلى الرغم من أن موضوع التنغيم ما يزال في طور التقعيد في الدراسات الصوتية العربية، فسوف تكون مفيدة للشعراء والخطباء، ومتعلمي التجويد ؛ فقارئ القرآن يمكن أن يحقق في تلاوته بعضًا من صور التنغيم.

الخاتمة

كان هدفي من البحث واضحًا، هو أهمية دراسة علم الأصوات في تعليم اللغة العربية للناطقين بالعربية وبغيرها. الأهمية في دراسة إنتاج الأصوات اللغوية لدى أبناء العربية الناطقين بها وبغيرها، وفي دراسة بعض الظواهر التركيبية والأدائية.

وقد انتهيتُ إلى بعض النتائج أجملها بالنقاط الآتية:

١. إن دراسة علم الأصوات تعين الذين يرومون تعلم العربية على تعلم لغتهم ، وتحسين نطقهم لأصوات العربية، والتخلص من عاداتهم النطقية المحلية ، وتخليص اللغة المشتركة من آثارها، لتكون لغة قومية مشتركة تصلح للتفاهم بين أفراد الأمة الواحدة.

---

١ فن الإلقاء المتميز، د. عبد الرحمن صالح العشماوي، ص ٩٣.
٢ ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص ٤٣١.
٣ التنغيم ودلالته في العربية، يوسف عبد الله الجوارنة، ص ٤١.

٢. إن المقطع الصوتي هو حجر الأساس في علمي العروض والأصوات، والمقطع بوصفه وحدة بنيوية ضرورية لتفسير بعض القواعد الصوتية في اللغة.

٣. النبر والتنغيم من الظواهر الصوتية الأدائية، فهما يقومان بوظائف كثيرة في بناء اللغة وتركيبها، وهذه الدراسة تفيد متعلمي العربية، ومتعلمي التجويد في الدراسات القرآنية.

٤. إن لعلم الأصوات أهمية كبرى في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، الذي أضحى مطلبًا مهمًّا في العصر الحديث لتحقيق مبدأ التبادل المعرفي بين اللغات.

٥. تدريس العربية لغير الناطقين بها باستخدام الثنائيات الصغرى والصور المساعدة، طريقة مثلى، توفّر الكثير من الجهد والوقت بالنسبة للمُعَلِّمِ والمُتَعَلِّمِ معًا.

وفي ضوء النتائج التي تمخض عنها البحث أوصي بما يأتي:

١. أن تقرّر مادة "علم الأصوات" متطلبًا جامعيًّا في التخصصات الأخرى ، كالدراسات الإسلامية، خاصة في تخصص الدراسات القرآنية والقراءات.

٢. تنويع الأساليب في تدريس العرب وغيرهم، كالثنائيات الصغرى، واستخدام أحدث وسائل التقنية، للظفر بفائدة أكبر.

٣. تأليف كتب متخصصة في تعليم العربية لكلّ لغة من اللغات، على نحو ما اضطلع به الآن مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، من أجل تحسين العربية عند الأجانب، أو في إطار تجسير الهوّة بين المنظومتين ، العربية وغير العربية، من خلال التواصل الثقافي، والتدافع الحضاري.

٤. استمرارية تنظيم دورات متخصصة لتدريب مُدَرِّسي العربية لغير الناطقين بها وتأهيلهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: الكتب:

١. أساليب تدريس اللغة العربية، محمد الخولي، الرياض، ط٣، ١٩٨٩م.

٢. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة – ١٩٨٧م.

٣. الأصوات اللغوية، محمد الخولي، مكتبة الخريجي، ط١، ١٩٨٧م.

٤. الأصوات اللغوية – دراسة في أصوات المد العربية، غالب فاضل مطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م.

٥. الكتاب لسيبويه، أبي بحر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.

٦. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت – لبنان.

٧. سرّ صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، دار إحياء التراث القديم، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى.

٨. المنصف لابن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين ، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ – ١٩٥٤م.

٩. في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة.

١٠. دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الكويت، ط١، ١٩٧٦م.

١١. ديوان البحتري ، دار صادر ، بيروت .

١٢. ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٥م.

١٣. سرّ صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دراسة وتحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥م.

١٤. سليمان البستاني في مقدمة الإلياذة، جورج غريب، دار الثقافة، بيروت.

١٥. علم الأصوات، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

١٦. علم الصوتيات، د. عبد العزيز أحمد علام، ود. عبد الله ربيع محمود، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

١٧. فن الإلقاء المتميز، د. عبد الرحمن بن صالح العشماوي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٣٠هـ.

١٨. القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، منهج لساني معاصر، سمير شريف إستيتية، عالم الكتب الحديث، إربد، ٢٠٠٤م.

١٩. مبادئ اللسانيات، أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

٢٠. النحو العربي والدرس الحديث، د. عبده الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

ثانيًا: الدوريات:

١. التنغيم ودلالته في العربية، يوسف عبد الله الجوارنة، مجلة الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق – العدد ٣٦٩، كانون الثاني، ٢٠٠٢م.

٢. مشكلات تعليم الأصوات للناطقين بغيرها، د. تمام حسان، مجلة معهد اللغة العربية، جامعة أم القرى وحدة البحوث والمناهج، مكة المكرمة، ١٩٨٤م.

٣. المشكلات الصوتية في تعلم اللغة العربية للناطقين بغيرها، جامعة المدينة العالمية أنموذجًا، الدكتور دكوري ماسيري، الأستاذة سمية دفع الله أحمد الأمين، منشورات وزارة التعليم العالي الماليزية – جامعة المدينة العالمية، وكالة البحوث والتطوير، عمادة البحث العلمي، مجلة المجمع، ٢٠١٢م.

ثالثًا: الرسائل الجامعية:

١. الأصوات العربية وتعليمها لغير الناطقين بها، إعداد: عبد اللطيف محمد شاكر القاطوع، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ١٩٩٩م.

٢. عن النبر في نطق العربية الفصحى بالعالم العربي المعاصر، عبد الله ربيع محمود، رسالة دكتوراه، قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.